طريقة التدريس بالكفاءات و أثرها على التحصيل الدراسي
- مقاربات بيداغوجية في الفكر التربوي المعاصر-

الأستاذ : بن طرات جلول
الجامعة: جامعة جيلالي ليابس –ولاية سيدي بلعباس- الجزائر

ملخص:

انصرفت الدراسات التربوية المعاصرة إلى ربط مبادئ المدرسة الحديثة بالعملية التعليمية التي تتحرك في حدود تطوير البرامج والمناهج التعليمية وطرق التدريس وكل ما هو مرتبط بنجاعة العملية التربوية التي تجمع بين التربية والتكوين، فكل ما ينطوي تحت فلسفة التعلم لا تخرج عن نطاق الأساليب الإستراتيجية التي يسلكها المعلم في ممارسة أدائه التربوي لتحقيق كل الأهداف السلوكية والمعرفية وهذا ما يرسخ قيم مجتمع المعرفة الذي يهدف إلى إنتاج النخب وصناعة الكفاءات، لهذا الغرض جاءت تلك الإصلاحات التربوية في الجزائر للنهوض بالتعليم وتوجيه أدوات التعلم على أساس تحسين طرق التدريس للرفع من نتائج التحصيل الدراسي قصد مواجهة كل الأزمات والعوائق التي تؤثر على التلاميذ في استهلاك المعرفة والتواصل التربوي داخل الأقسام.

الكلمات المفتاحية: طريقة التدريس بالكفاءات- التعليم- مجتمع المعرفة- الحداثة- العولمة- الكفاية التربوية.

Abstract: Contemporary educational studies have devoted to linking the principles of the modern school with the educational process that moves within the limits of developing educational programs, curricula, teaching methods and everything related to the efficacy of the educational process that combines education and training. Everything that involves under the philosophy of learning does not go beyond the scope of strategic methods that the teacher pursues Practicing his educational performance to achieve all behavioral and cognitive goals, and this is what establishes the values of a knowledge society that aims to produce elites and build competencies. For this purpose, these educational reforms in Algeria came to advance education and guide learning tools on the basis of improving Teaching methods to raise the results of academic achievement in order to face all crises and obstacles that affect students in the consumption of knowledge and educational communication within the departments.

Keywords: Method of teaching with competencies - education - knowledge society - modernity - globalization - educational competence.

مقدمة:

انصرفت الدراسات التربوية المعاصرة إلى ربط مبادئ المدرسة الحديثة بالعملية التعليمية التي تتحرك في حدود تطوير البرامج والمناهج التعليمية وطرق التدريس، وكل ما هو مرتبط بنجاعة العملية التربوية التي تجمع بين التربية والتكوين، فكل ما ينطوي تحت فلسفة التعلم لا يخرج عن نطاق الأساليب الإستراتيجية التي يسلكها المعلم في ممارسة أدائه التربوي لتحقيق كل الأهداف السلوكية والمعرفية، وهذا ما يرسخ قيم مجتمع المعرفة الذي يهدف إلى إنتاج النخب وصناعة الكفاءات، لهذا الغرض جاءت تلك الإصلاحات التربوية في الجزائر للنهوض بالتعليم وتوجيه أدوات التعلم على أساس تحسين طرق التدريس للرفع من نتائج التحصيل الدراسي قصد مواجهة كل الأزمات والعوائق التي تؤثر على التلاميذ في استهلاك المعرفة والتواصل التربوي داخل الأقسام، لذلك فان طريقة التدريس بالكفاءات التي تراعي الكفاية التربوية عند التلاميذ وتزودهم بأدوات للتعلم تعد أكثر نجاعة للتحصيل العلمي، وقد تهيئهم للتكيف والتأقلم مع عناصر العملية التعليمية، فضعف التحصيل الدراسي قد تتحكم فيه عدة عوامل وأسباب قد تعود إلى غياب التخطيط واستشراف مستقبل التعليم وانفتاحه على متطلبات الحداثة وتحولات العولمة، لذلك قد تعبر مشكلات الوسط المدرسي في الجزائر عن أزمة المنظومة التربوية وواقع التعليم الذي لم يربط تلك الطرق والأهداف والمناهج بدافعية الطموح والإنجاز عند التلاميذ وتزويدهم بأساليب نوعية جديدة تمكنهم من تجاوز صعوبات التعلم، فالمنهجية التربوية الحديثة تقوم على أسلوب التنوير والخلق والإبداع كخصوصيات تربوية تجمع بين كيفية التعلم والتواصل والاستيعاب الجيد الذي يمكن التلميذ من تنمية قدراته التعلمية وترقية خبراته ومهاراته وملكاته المعرفية، ومن ثم فطريقة التدريس بواسطة الكفاءات تحمل معاني تلك الثورة العلمية والمعرفية التي تدفع المنظومة التربوية في الجزائر إلى تحقيق أهدافها المجتمعية، فطبيعة التعليم في الجزائر لم تراع تلك المقاربات البيداغوجية التي تؤسس لترسيخ قيَّم الفكر التربوي المعاصر التي تربط حوار التعليم بعملية إنتاج المعرفة قصد إعادة نمذجة المدرسة الجزائرية لتحقيق ذلك النموذج التربوي العقلاني الذي ينظر لطريقة التدريس بالكفاءات كنظرية وممارسة لتحديث وتطوير العملية التعليمية كما وكيفا طبقا لرهانات المعرفة والتنمية على مستوى عالم الأفكار والأشياء، ففلسفة التعليم في الخطاب الحداثي المعاصر تنطلق من إحداث الملاءمة بين الأدوار التربوية والتعليمية

لمؤسسات التنشئة الاجتماعية قصد تعزيز عملية الاتصال والتواصل بين الأسرة والمدرسة، وتهيئة الطفل للتفاعل التربوي مع المادة التعليمية التي يقدمها المعلم، لذلك فان استجابة التلاميذ وتواصلهم الإيجابي قد يساعد على عملية النمو الذهني والنفسي والاجتماعي للشخصية، وتوجيه الرغبة والحب في التعلم، وإثارة ميوله ودوافعه ونوازعه في تحقيق الارتباط مع عالم المدرسة وفضائها التربوي، ومن ثم فإن بنية النظام التعليمي في الجزائر قد انتهج تلك الإصلاحات لإعادة تشكيل ملامح كل الأطوار التعليمية ضمن رؤية جديدة تهتم بطرق التدريس الحديثة التي تقوم على لغة الإبداع وتتجاوز طريقة الحشو والاستهلاك، لهذا حاولت من خلال موضوع هذا البحث أن أقف عند حدود أثر طريقة التدريس بالكفاءات على التحصيل الدراسي خاصة من جانب صعوبة التواصل التربوي مع المعلم داخل القسم، ضعف النتائج الدراسية، وكذا علاقة هذه الطريقة بضعف عملية التوجيه المدرسي لميول ورغبات التلاميذ على غرار الشعب الأدبية والعلمية، وضمن هذا المعنى لزال الحقل البيداغوجي لقضايا التعلم والتعليم داخل المنظومة التربوية في الجزائر يثير التساؤلات: كيف يمكن بناء وتطوير العملية التعليمية في الجزائر؟ وما علاقة هذا المشروع التربوي بتحسين الأساليب البيداغوجية للمناهج الدراسية والبرامج التعليمية وطرق التدريس كشرط من شروط التحصيل الدراسي؟ وإلى أي مدى يمكن اختزال طبيعة ذلك ضمن رهانات الفكر التربوي المعاصر؟

-العرض:

أولا: التعليم وو اقع الإصلاحات التربوية في الجز ائر

إن المتأمل لواقع النظام التربوي في الجزائر ينطلق من تلك الأهمية التي أولتها الدولة لقطاع التربية والتعليم قصد تجاوز الثقافة الاستعمارية من خلال ترسيخ قيم الوعي والانتماء انطلاقا من تعزيز عناصر وثوابت هوية المجتمع الجزائري لاسيما عنصر اللغة والدين والتاريخ باعتبارها حجر الأساس لقيم الماضي وكل ما ينطوي تحتها من خصوصيات تشكل القواسم المشتركة بين أفراد الشعب الجزائري من حيث التفاعل الثقافي والتواصل التاريخي، لذلك وجدت الدولة في قطاع التعليم كل المعالم الحضارية التي تؤسس لولادة مجتمع المعرفة الذي ينفتح على آفاق النهضة والتجديد، وكل رهانات ومقومات التنمية هذه السياسة التربوية في الجزائر تشكل رؤية جديدة لمقاومة مظاهر الاغتراب الثقافي التي خلفها الاحتلال الفرنسي، وإعادة النظر في ثقافة التغريب وكل أساليب التعليم على مستوى البرامج والمناهج قصد بناء منظومة تربوية تتلاءم مع طبيعة المجتمع الجزائري وتطبق كل ما دعا إليه عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، ومالك بن نبي من

خلال تلك المفاهيم الإصلاحية والحركة التجديدية النهضوية التي جسدت أبعاد فلسفة التعليم التي تجمع بين قيم الماضي وثقافة الحاضر، لذلك فإن الفكر التربوي المعاصر يعتبر التعليم أداة من أدوات تحديث الفكر وتنوير الفرد ضمن تعزيز أساليب التنشئة التربوية في إطارها الأسري والمدرسي، والانصراف إلى الاستثمار العقلاني في عالم الأفكار والأشياء كمطلب من مطالب التنمية الثقافية والاجتماعية التي تتحدث بلغة مجتمع النخب والكفاءات، وهذا ما يتطابق مع هذه الرؤية الواقعية لأحد المنشغلين بقضايا التعليم ومشكلاته المعاصرة، إذ يرى أن «أساليب وطرق التدريس قد تطورت في الآونة الأخيرة نتيجة لتطور المجتمعات المعاصرة، فاستنادا إلى علم النفس التعليمي الحديث، والأبحاث التربوية التي أخذت في الحسبان الازدياد لوعي المدرسين، وحاجتهم إلى تغيير النمط التقليدي في عملية التعليم، وإيجاد نوع أو أنواع بديلة تتوافق مع التطور العلمي والتكنولوجي الكبير الذي جعل من العالم الواسع قرية صغيرة يمكن اجتيازها بأسرع وقت، وأقل جهد مما سهل للانفتاح العالمي ومتابعة كل جديد ومتطور، فكان مما شمله هذا التطور البحث عن طرق وأساليب تعلمية جديدة بمقدورها دحض الأساليب القديمة الجامدة، والرقي بعملية التعلم إلى أفضل مستوياتها إذا أحسن المدرسون والعاملون في الحقل التعليمي استخدام هذه الأساليب وتوفير الإمكانيات اللازمة لها»[1] وضمن هذه الرؤية جاءت الإصلاحات التربوية في الجزائر للنهوض بالتعليم من خلال جميع الأطوار التعليمية التي اهتمت بتكوين المعلمين، وتكييف كل المناهج والبرامج وأساليب التدريس وطرقه مع المبادئ البيداغوجية الحديثة التي تراعي خصوصيات العملية التربوية داخل المؤسسات التعليمية، وتنفتح على نموذج تربوي حديث يجمع بين آليات إنتاج المعرفة وسمات مجتمع الكفاءات التربوية التي تتحرك في حدود النظرية والممارسة التعليمية في جوانبها العقلانية والبراجماتية التي لا تخرج عن نطاق مواصفات أساليب التدريس الناجحة، فكل البحوث والتجارب التربوية الحديثة في الجزائر قد جعلت من تطوير العملية التعليمية حتمية يفرضها اقتصاد المعرفة كمشروع مجتمع ينظر إلى ثنائية المعلم والتلميذ كمحتوى من محتويات التكنولوجيا الحديثة وثورة عصر الرقمنة، ونظام المعلومات في إطارها الحداثي المعاصر، حتى لغة العولمة تجعل من التعليم مجالا تتحرك داخله فكرة العالمية وكل ما

[1]- محمد عصا طبيه طرق وأساليب التدريس الحديثة، دار حمورابي، عمان، الأردن، ط1. 2008 ، ص03

صاحبها من تغيرات وتطورات أسست لثقافة الإنسان المعاصر وخطابه التنويري الذي تضمن نقد العقل وتحديث المجتمع وتحرير الإنسان من الأوهام، «...فإنسان الأنوار كما يتصوره كانط، على وجه الخصوص في نص أساسي يحمل عنوان: ما الأنوار؟، هو كائن متحرر لا يخضع لأية وصاية، كائن وصل مرحلة النضج والرشد، إذ يتطلب برنامج الأنوار أن يعرف الإنسان كيف يقيم الحكم الجيد لصالح الناس...»[2] فدلالات الخطاب التنويري عند كانط هو حلقة من حلقات الحضارة الغربية التي استثمرت في قيم الفرد وأفكاره عن طريق التعليم قصد تطوير المجتمع وتحديث أنساقه ونظمه، لذلك فإن التجربة التربوية في الجزائر قد اعتبرت طور التكوين وإصلاح التعليم هو وسيلة للخروج من هذه الأزمة التي انعكست سلبا على التحصيل العلمي، وفقدت العملية التربوية داخل المؤسسات التعليمية نجاعتها البيداغوجية، وأصبح مردود التلاميذ هاجسا واقعيا عند المعلمين وأولياء الأمر، الذين انصرفوا إلى الدروس الخصوصية في اعتقادهم أن ذلك بديلا ناجعا لتحسين المستوى التعليمي عند أبنائهم خاصة على مستوى المواد الأساسية بالنسبة للشعب الأدبية والعلمية، ومن ثم فإن تلك الإصلاحات التربوية التي مرت بها المدرسة الجزائرية قد تناولت هذا الجانب بعين الاعتبار ولكن لم تجد حلا لهذه المشكلة التي اصطدم بها واقع التعليم مما أثر سلبا على نجاعة الأداء التربوي عند المعلمين والمتمدرسين، ومن هذا المنظور فإن غياب التخطيط قد جعل من هذه الإصلاحات لا تتلاءم مع مبادئ وخصوصيات التعليم الحديث الذي يستجيب لشروط إنتاج المعرفة وآليات الممارسة التربوية التي تلتزم بطريقة التدريس، والإعداد الجيد للكتاب المدرسي، والتكوين الأكاديمي السليم للمعلمين، والبناء العقلاني للعملية التعليمية داخل المؤسسات التربوية، فالهدف من ثورة هذه الإصلاحات يكمن في ترسيخ قيم العقلانية التربوية التي تربط المنطلقات الفكرية للتعليم بكل عملية إصلاحية تجديدية على مستوى الوعي أولا ثم على مستوى الوسائل والهياكل التربوية ثانيا، «...فالتغيرات الاجتماعية والتربوية دائما تكون مشفوعة بالمبررات العقلانية والعلمية التي تصوغها، والتي هي في حقيقتها من صميم إفرازها وإنتاجها...فتوزيع المعارف على أفراد المجتمع مردود إلى عقلانية تخطيط الموارد البشرية، وربط التعليم بالعمل، وحتمية التغاير في الوظائف الاجتماعية والأدوار والمكانات، وتطوير نظم الامتحانات وسياسات القبول والاستيعاب محكوم بمواكبة الخبرات الأجنبية والتجارب العالمية

[2]- ورقة تمهيدية، 2011: ص6

الناجحة...»[3] لذلك فإن تلك التغيرات والتحولات التربوية المعاصرة قد استوعبت فاعلية الرأسمال الثقافي لبنى التعليم في الجزائر من خلال تعزيز الحوار الاجتماعي مع طبيعة هذه الإصلاحات للخروج من دائرة الانغلاق إلى حيز الانفتاح على ثقافة الآخر، فالوعي التربوي بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الجزائري قد دفع المدرسة إلى تبني رؤية جديدة للإصلاح تستوعب الواقع الراهن وتؤسس لميلاد مجتمع لا يعترف إلا بلغة النخب والكفاءات، ففي ظل قيم المعاصرة والتحديث تجلت علاقة التعليم بالتكنولوجيا، وهو ما انصرفت إليه المنظومة التربوية في الجزائر لربط أبعاد هذه الإصلاحات بالوضعية النموذجية للمدرسة الحديثة في العالم، ومن ثم فإن كل ما يرتكز عليه الفكر التربوي المعاصر من مفاهيم ومقولات قد كشف عن حركة هذه الإصلاحات كشكل من أشكال إنتاج المعارف والأفكار التي تساعد على النهضة الفكرية، وترتقي بالثقافة المعاصرة عند التلميذ في ظل هذه التحديات والرهانات، وتساهم في تهيئته للتفاعل والتواصل مع قيم التنشئة الاجتماعية، وتعمل على امتلاك أدوات التخطيط الإستراتيجي لتطوير العملية التعليمية، فتحقيق هذه الأهداف يشكل منعرجا حاسما في تجاوز أزمة النظام التربوي في الجزائر، وفي هذا السياق ساهمت بيداغوجيا الأهداف التعليمية في نجاح التجربة التربوية داخل المجتمع الأمريكي، «...فقد تحمس مفكروه ومنظروه بشكل أكبر لهذا التوجه البيداغوجي، وقد تمثل هذا العامل في سلسلة الإخفاقات التي عرفها النظام التعليمي في أمريكا آنذاك خصوصا في الخمسينيات...فبدأ التشكيك في مدى نفعية ومردودية التعليم معتبرة مضامينه متجاوزة بصفة كلية، ومن ثم ضرورة إعادة النظر في هذا النظام سواء على مستوى محتوياته، طرقه أو آليات تقويمه حتى يصبح أكثر إنتاجية، فعالية ومردودية... فالتعليم كذلك لابد من ضبطه وتحديد غاياته وأهدافه حتى يمكن الانتفاع به وعلى كل المستويات: عمليا لتطوير الاقتصاد وفلسفيا لحفظ النظام ومكتسباته»[4] فطبيعة الثورة التربوية التي أحدثها المجتمع الأمريكي قد تتقاطع مع طبيعة الإصلاحات في مجال التعليم داخل المدرسة الجزائرية التي انفتحت على تلك التحولات

---

[3]- محمد عبد الخالق مدبولي، الشرعية والعقلانية في التربية- دراسات نقدية في الفكر والممارسة- تقديم: حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999، 32

[4]- محمد شرقي، مقاربات بيداغوجية من تفكير التعلم إلى تعلم التفكير- دراسة سوسيوبيداغوجية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص 18

التربوية التي جمعت بين المقاربات البيداغوجية وأساليب التكوين التربوي والتعليمي الجيد للمعلمين، «...فقضية تكوين الأساتذة يشكل دعامة أساسية لمرافقة الإصلاحات التربوية الجارية والمقبلة بهدف تحسين جودة التعليم، والرفع من كفايات الأستاذ ومعالجة بعض اختلالات منظومة التربية والتكوين، وتعدد مستويات التعليم ومجالاته، وتجدد مناهجه وبرامجه ومقارباته الديداكتيكية وكتبه المدرسية ووسائطه البيداغوجية، وضرورة تحيين أساليب التدريس وإدارة الفصل والإسهام في الحياة المدرسية وانفتاح المؤسسة التعليمية...»[5] فطبيعة هذه الرؤية التروية لأساليب الإصلاح وأبعاده قد يساهم في إنجاح المشروع التعليمي الذي ينطلق من البناء النسقي لآليات تطوير الفكر والعلم والبحث التربوي الذي يتحرك في نطاق تجديد أهداف التمدرس وتصحيح كل الاختلالات في مجال التعليم على المستوى النظري والتطبيقي مراعاة لمنظومة التربية والتكوين ومواصفات العملية التعليمية ومسارات الإصلاح التربوي في العالم، ومن ثم جاءت تلك المهام والأدوار في مجال علوم التربية لصياغة نموذج إصلاحي يهتم بالدرجة الأولى ببناء مناهج تكوينية أكثر ملاءمة للبرامج وطرق التدريس الحديثة، مع ضرورة التكيف والتوافق مع مستجدات الإصلاح التربوي، وشروط الممارسة في الميدان وفق المقاربة بالكفايات، فكل إستراتيجية موجهة لإصلاح قطاع التعليم في الجزائر يشكل حلا إستعجاليا لتجاوز أزمة التكوين، وضعف التخطيط، ومشكلات الرسوب والتحصيل والتواصل التربوي داخل الأنشطة الصفية، فواقع التعليم في الوطن العربي لا يختلف كثيرا عن طبيعته في الجزائر لاسيما من حيث سيرورة التطور التاريخي وتأثير مرحلة الاستعمار في تقويض هوية الشعوب العربية، فالآفاق المستقبلية لفضاءات التربية والتعليم تراعي كل المقاربات البيداغوجية الحديثة وأدوات الفعل الديداكتيكي المرتبطة بتطوير الوسائل التعليمية والبرامج والمناهج وطرائق التدريس، ومن ثم فإن التحولات المتسارعة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، ومتطلبات التنشئة الاجتماعية وتكوين شخصية المواطن قيما وسلوكا يعد هدفا من أهداف إصلاح منظومة التربية والتعليم التي تصطدم بتحديات العولمة واقتصاد المعرفة، وضمن هذا المعنى تبقى البرمجة العقلانية والتخطيط الاستراتيجي المستمر، والنظرة الإستشرافية لمستقبل نهضة وتجديد هذه المنظومة الحلقة المفقودة والغائبة داخل الإصلاحات التربوية في الجزائر التي تأثرت بتحولات في القيم وما تبعها من اختلال في التوازنات على

---

[5]- عبد النبي رجواني مجالات وآفاق تكوين الأساتذة، منهجيات التدريس، (مؤلف جماعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008.: ص 05

مستوى العلاقات الاجتماعية، «...فقد تزحزح النمط السائد في العلاقات وتوزيع السلطة، وبروز اختلال القيم داخل المؤسسة التعليمية والفصل الدراسي قد جعل من المفيد اهتمام الباحثين بدراسة ما لحق بالتمثلات الاجتماعية في هذه الفترة وبالخصوص تمثلات الشباب حول الدراسة والنجاح الاجتماعي والأستاذ ومؤسسة التربية والتكوين، ولقد تجلى بعضها في بداية التمرد على الأساليب السلطوية في التربية (العقاب الجسدي، التقريع، التوبيخ....)، وتزايد ملحوظ لسلوكات عنيفة داخل المؤسسة التعليمية، وتوسع دائرة ممارسة الدروس الخصوصية الذي خدش تلك الصورة الملائكية للأستاذ المتحرر من سلطة المال وغواية الربح المادي المباشر، واستفحال الغش في الامتحانات، وشيوع النكت السلبية اتجاه الأستاذ والعملية التعليمية، وبداية ظهور أعمال فنية تستخف بنساء ورجال التعليم، فلم يعد يتمتع ذلك الأستاذ بنظرات الاحترام والتقدير وأصبح موضوع تهكم واستهزاء، وغدت الوصلات الاشهارية تستحضر في صورة النجاح الطبيب والمهندس والربان وتغيب الأستاذ والعالم والباحث...» [6] فتأثير هذه التحولات في القيم قد حمل انعكاسات سلبية في ظل الثورة التكنولوجية وعصر الرقمنة مما أدى إلى فشل هذه الإصلاحات في استرجاع مكانة المعلم الاجتماعية ورمزيته وسلطته القيمية داخل المجتمع لاسيما في الجزائر، أين تم تهميشه وتغييب وجوده، ومن ثم ظهرت ظاهرة هجرة الأدمغة بحثا عن تلك المكانة والسلطة، ودخلت كل الكفاءات والنخب التي تم إنتاجها وصناعتها داخل المدرسة الجزائرية مرحلة من الاستيلاب والاغتراب الثقافي، ولم يعد ذلك النموذج الذي تحدث عنه الشاعر المصري «أحمد شوقي» قائما في الواقع، فالمظهر الأخلاقي للعملية التربوية قد يساهم في تطوير تلك الإصلاحات وفق هذا النموذج خاصة على مستوى العملية التنموية والوثبة الحضارية التي يمكن أن يحدثها كل المهتمين بشأن التربية والتعليم في الجزائر، لذلك تضمنت هذه الاهتمامات مستويات الاستيعاب والتحصيل والتخطيط الاستراتيجي في ميادين المعرفة، «...فكفاءة التعليم وفاعليته تعتمدان بدرجة قصوى على كفاءة إدارة التعليم وتنظيمه على التخطيط التعليمي-عبر عدة محطات-، بصيغ وأساليب تطوير الإدارة التربوية والمدرسية، وشمل ذلك الاهتمام بصيغ بناء الهياكل التنظيمية للإدارة التعليمية على المستويات المركزية والإقليمية، إضافة إلى الصيغ المتعلقة

[6]- عبد النبي رجواني، المرجع السابق، ص 27

بأساليب التقويم، والضبط والمراجعة، والتقرير بشأن ما قد تواجهه الخطط التعليمية من مشكلات عند التنفيذ..»[7] إن مواجهة أزمة قطاع التعليم في الجزائر قد استدعى حضور تلك الإصلاحات التربوية قصد تطوير أساليب التعلم من خلال تنمية قدرات المتمدرسين وتنمية ملكاتهم المعرفية على التحصيل الدراسي الجيد، ومن ثم قد يكون لطريقة التدريس أثرا مباشرا في ذلك من خلال مواصفات التكوين عند المعلم الناجح الذي يربط أداءه التربوي مع التلاميذ بالتحصيل العلمي الجيد خاصة من حيث طريقته في التدريس وقدرته على التواصل التربوي معهم على مستوى لغة التعلم والحوار والإصغاء إليهم، وتنوعه في استعمال أساليب تربوية حديثة للوقوف عند مكامن الضعف لديهم وتأثيرها السلبي على الاستيعاب المعرفي، والتركيز في عملية الفهم والحفظ، ومعرفة كل العوائق والصعوبات التي تحول دون التحصيل الدراسي الجيد، لذلك فان أبعاد إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر تتحرك في نطاق ما انصرفت إليه تلك الدراسات المعاصرة في مجال علم النفس التي تنظر إلى التعلم كضرورة تربوية تقتضي حتمية تطوير العملية التعليمية، «...فموضوع التعلم من الموضوعات الرئيسية الهام التي عني علماء النفس بدراستها دراسة تجريبية مستفيضة ليعرفوا كيف يحدث التعلم، وما هي مبادئه وقوانينه، وما هي العوامل التي تساعد على التعلم الجيد والتذكر الجيد، والعوامل التي تعيق التعلم وتؤدي إلى النسيان...فقد كانت لدراسة التعلم نتائج كثيرة هامة سواء من الناحية النظرية أو الناحية التطبيقية، فمن الناحية النظرية اعتبرت مبادئ ونظريات التعلم التي أسفرت عنها نتائج الدراسات التجريبية الإطار النظري الذي يفهم على أساسه تكوين البناء النفسي للإنسان، أما من الناحية التطبيقية، فقد كانت لمبادئ التعلم وقوانينه نواح تطبيقية كثيرة في ضبط السلوك وتوجيهه، وتعديله سواء في مجال التربية أو التدريب المهني أو الصناعي، أو العلاج النفسي...»[8] فالقيمة التربوية للتعلم تظهر من خلال نجاعة وعقلانية الإصلاح التربوي لقطاع التعليم الذي يشكل نقطة تحول اقتصاد المعرفة من خلال رهانات انتجاع قيم وأفكار تؤسس لولادة وعي تربوي ناضج ينفتح على جميع تحديات العولمة وآفاق التنمية.

ثانيا: طريقة التدريس بالكفاءات و أثرها على التحصيل الدراسي.

---

[7]- مارتن كارنوي، العولمة وإصلاح التعليم، ما يجب أن يعرفه المخططون؟، ترجمة: محمد جمال نوير، العربي، القاهرة، ط1، 2003، ص 6

[8]- سارنوف أ.مدنيك، هوارد ر.يوليو، ألبراث ف.لوفتس التعلم، ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1973، ص 13

تحمل الرؤية الحداثية المعاصرة لمبادئ المدرسة الحديثة أبعاد إستراتيجية تستشرف مستقبل العملية التعليمية داخل المؤسسات التربوية على المستوى النظري والتطبيقي، أين تناولت فلسفة الإصلاح التربوي في الجزائر طرق التدريس وتأثيرها المباشر في عملية التحصيل العلمي الجيد، لذلك فعلاقة المعلم بالتلميذ تمثل حجر الأساس لهذه العملية، كما قد يكون لدور الإدارة وأولياء الأمر وكل ما يحيط بفضاء ومحيط التعلم والتعليم دخلا في رفع وتحسين المردود التربوي للتلاميذ لهذا الغرض جاءت السياسة التربوية التعليمية في الجزائر واضحة المعالم والأهداف قصد تكييف واقع التعليم مع كل التغيرات والتحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية داخل المجتمع، «...فالمشاكل العاجلة التي نجمت عن انتشار التربية والتعليم، جعلت المسؤولين يهتمون قبل كل شيء بناحية الكم، من حيث المجهودات التي ينبغي أن تبذل، والعقبات التي يجب أن تذال، والأوضاع الشاذة التي ينبغي أن تصحح، مثل العلاقة بين التربية والمعرفة، وبين الأهداف الموسومة والأهداف المنجزة، فالتربية تعتبر في نفس الوقت عالما قائما بذاته، وصورة منعكسة للعالم الذي نعيش فيه...»[9] وضمن هذا المعنى تجلت وظائف المدرسة في إنتاج القيم الأخلاقية التي تساعد التلميذ على تحصيل المعرفة والسلوك معا، لذلك قد يكون لعملية الإشراف التربوي والتوجيه والإرشاد النفسي والاجتماعي، وعملية التقييم والتقويم داخل المؤسسات التعليمية أثرا إيجابيا في تغيير وتجديد وتطوير البناء النسقي للفكر التربوي على غرار إنتاج النخب وصناعة الكفاءات، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إعادة النظر في هذه المناهج والبرامج وطرق التدريس والاهتمام بأساليب وطرق اكتساب المعرفة، فالثقافات التربوية الحديثة تنظر إلى التعليم من منظور الممارسة التعليمية التي تقوم على تحرير التلميذ من وضعية التلقين والحشو والاستهلاك إلى وضعية التجديد والبناء وتنظيم وتحليل المعلومات وتفكيكها، وتدريبه على التفكير المنطقي، وتزويده بطرق حديثة في عملية التفاعل والتواصل مع تلك الدروس والامتحانات الكتابية والشفهية، «...فالتربية إذن تتمركز حول الإنسان، كما تتمركز الحياة الجديدة، وحيث المعرفة تنشأ في سياق الخبرة، فمشكلة المنهج وموضوعه في ضوء هذه التربية لن يكون بالقطع ما يقدم أو

[9]- محمود أبو زيد إبراهيم، أسماء محمود غانم، المناهج الدراسية- تخطيطها وتطويرها-، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1993، ص 07

يلقن للتلاميذ كي يتعلموه، فالتعليم لم يصبح تحصيلا لمادة موجودة من قبل، فمادة التعليم تنبثق من عملية التعلم باعتبارها نشاط الإنسان في مواجهة موقف أو مشكلة»[10] ومن ثم فان كل نشاط تعليمي يجمع بين تجربة المعلم التربوية وقدرة التلاميذ على التحصيل والاستجابة لطبيعة هذا النشاط خاصة في اكتساب الصفات والمعارف التي تساعده على تحقيق النجاح والتفوق الدراسي كعلامة للطموح والانجاز الذي يستمده من تحفيز المعلمين والأولياء وكل ما يوفره المحيط التعليمي من شروط ملائمة تعكس المناخ التربوي الخصب بعيدا عن حالات العنف والإدمان ومظاهر الانحراف الأخلاقي الذي صاحب فشل المشروع التربوي لمؤسسات التنشئة الاجتماعية وأثر الثورة التكنولوجية واستعمالاتها السلبية داخل الوسط المدرسي، فكل الأهداف والمفاهيم التربوية الحديثة ترتكز أساسا على التحكم في طرق التدريس ومطابقتها مع عملية التدرج في النمو المعرفي، والتباين في الاستيعاب والتحصيل عند التلاميذ، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تلك القدرات والمهارات والاستعدادات التي تتفاوت من تلميذ لآخر بحكم عمل الوراثة أولا والبيئة ثانيا، ومن ثم يستطيع المعلم أن يهيئ هذه النماذج للكيفية والطريقة في التدريس، خاصة طريقة التعامل مع فئة الموهوبين بخلاف الآخرين، لذلك جاءت طريقة التدريس بالكفاءات للتمييز بين مفهوم الكفاية التربوية وأهداف العملية التعليمية على المستوى المعرفي والسلوكي، فالنموذج الناجح الذي يهدف إلى تحقيق المدرسة الحديثة حسب الأهداف البيداغوجية لطريقة لتدريس بالكفاءات يتمثل في ذلك التلميذ الذي يستجيب لمهارات الكفاءة، والقابلية لتطبيق تلك المهارات في مجال الفهم والتحليل والاستنتاج المنطقي، واستعمال التكنولوجيا في حدود تلك المهارات في نطاق التخطيط الاستراتيجي الذي يساعد على رفع المستوى الأخلاقي والعقلي عند التلاميذ، وهكذا فالتدريس بواسطة الكفاءات قد يكشف عن مدى الارتباط الوثيق بين الأداء التربوي العقلاني والفعال عند التلميذ وطبيعة التحصيل الدراسي لديه، فرهانات البيداغوجيا المعاصرة تنظر لطريقة التدريس بالكفاءات كهدف من أهداف التعليم في تحقيق التنمية وبناء المجتمع الحديث، «...فقد مس تطور النظام التعليمي في الوطن العربي بنياته التحتية: بناء المدارس وتعميمها في الحواضر والقرى، تكوين إدارة تربوية منظمة تشرف على كل عمليات التربية والتكوين والتوجيه والتسيير والتقويم، بناء كليات للتربية ومدارس عليا لتكوين المنشطين التربويين والمدرسين في مختلف الأسلاك التعليمية، إضافة إلى إقامة جامعات ومعاهد عليا للتعليم والبحث للمعلمين

[10]- المرجع نفسه، ص 45

ورصد ميزانيات كبرى للتعليم وتطويره حتى يلعب دوره كاملا في خدمة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبموازاة ذلك تطورت الممارسات البيداغوجية عما كانت عليه وانفتحت على كل مكتسبات التربية الحديثة» [11] فأبعاد هذا التطور قد جعلت من الوعي التربوي بممارسة العملية التعليمية يخضع لإستراتيجية تلك الأهداف التي تستجيب إليها المنظومة التربوية في الجزائر طبقا لرهانات مجتمع المعرفة الذي يحمل خصوصيات المجتمعات الحداثية لتي تهتم بالبحوث التربوية داخل نظام التعليم الذي يحتفظ بتلك الآفاق والأهداف الإستراتيجية في التكوين الأكاديمي الموجه توجيها عقلانيا متكاملا، ومن ثم فان العلاقة التربوية التي تربط المعلم بالتلميذ تعزز أهمية تلك القطاعات المعرفية في المجال السيكولوجي والسوسيولوجي والديداكتيكي والبيداغوجي، «...فاهتمام الغرب بقضايا البيداغوجيا في مجال التربية والتعليم قد ساهم بشكل كبير في بلورة وعي جماعي بأهمية البحث البيداغوجي ودعمه بخطاب نظري مسلح بمفاهيم صلبة حول الطفولة والتعلم والثقافة المدرسية والوظيفة الديداكتيكية والتقويم البيداغوجي...فهناك تصورت يتم تأسيسها داخل حقل السيكولوجيا يتم اتخاذها كأساس لصياغة أهداف التربية وطرق التدريس وأنشطة التعلم...وهناك أيضا مفاهيم أخرى يتم تأسيسها داخل الديداكتيك الخاص بتدريس مادة مدرسية ما تتحول بفعل تماسكها النظري وقوتها التفسيرية أو الإجرائية، أي بفعل إمكانات التفكير التي تنفتح عليها بخصوص الممارسة الديداكتيكية، إلى مفاهيم عامة تدعم الخطاب البيداغوجي في عموميته، (وكمثال على ذلك مفهوم النقل الديداكتيكي La Transposition Didactique الذي تم تأسيسه داخل ديداكتيك الرياضيات، وأصبح الآن أداة تفكير في مختلف عمليات البرمجة والتدريس بخصوص كل المواد المدرسية...»[12] فكل المفاهيم والأدوات التربوية التي توجه فلسفة التعليم قد ربطت الحقل البيداغوجي بطبيعة إنتاج المعرفة ودور تلك المناهج والبرامج وكل مكونات الأداء التربوي والأكاديمي عند المعلمين الأكفاء، لاسيما أن قضايا التعليم والتمدرس والتكوين قضايا جوهرية توجه طرق التعلم والتفكير من خلال صياغة رؤية جديدة لطرق التدريس تمكن كل الفاعلين التربويين من امتلاك ثقافة تربوية معاصرة تؤسس لولادة

---

[11]- عبد الحق منصف (2007) رهانات البيداغوجيا المعاصرة –دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2007، ص 05

[12]- المرجع نفسه، ص 06

مفاهيم بيداغوجية ورؤى تربوية تعليمية تنفتح على عصر الحداثة، وضمن هذا المعنى يعتقد البعض، «أنه لا يمكن الحديث عن بيداغوجيا قائمة على الحوار والتشارك في غياب مرجعية فلسفية تعتبر الإنسان ذاتا عاقلة وحرة ومزودة بإرادة وقدرة على الاختيار، كما لا يمكن إقامة خطاب بيداغوجي حول الثقافة المدرسية استناداً إلى معطيات التحليل الايديولوجي وحدها، أو حول الكتاب المدرسي استنادا إلى وظيفة نقل المعرفة وحدها...وأيضا يصعب جدا الحديث عن التقويم التربوي بتجاهل نتائج ومعطيات الدراسات الدوسوسيلوجية Lés Etudes Docimologique ...كما يستحيل البحث في قضايا التدريس بواسطة الأهداف بالاكتفاء بنظرة تقنية ضيقة لعمليات التدريس وتنظيم أنشطة التعلم، فقد أصبح ضروريا جدا انفتاح الخطاب البيداغوجي داخل الوطن العربي على معطيات البيداغوجيا المعاصرة بكل مكوناتها الفلسفية والعلمية وتجاربها العملية ورهاناتها المختلفة»[13]

إن الحديث عن مستقبل العملية التعليمية داخل المنظومة التربوية ينطلق من إصلاح طرق التدريس التي قد يكون لها تأثيرا مباشرا على الجانب البيداغوجي لعملية التقييم والتقويم التي تحدد طبيعة التحصيل الدراسي وتشخص مكامن الرداءة والكفاءة التربوية عند التلاميذ، وتظهر التباين في نسب النجاح في الامتحانات الفصلية، كما قد يكون لها دخلا في عملية المتابعة التربوية المستمرة من طرف المعلمين وأولياء الأمر والمفتشين، فتكامل تلك الأهداف وتفاعل كل الأدوار قد يرسخ القيم البيداغوجية المعاصرة لطريقة التدريس بالكفاءات، ويجعل من عملية البحث والإنتاج والتحصيل المعرفي مجالاً تربويا خصبا قد يحقق البنية التحتية الفوقية للتعليم والتمدرس الجيد الذي يخدم أهداف التربية الحديثة، ويعزز شروط التدريس وأهدافه وطرقه، ويمكن المجتمع الجزائري من تجاوز كل المشاكل المتعلقة بقضايا التربية والتعليم لاسيما البيداغوجية منها، ومن هذا المنظور جاءت تلك البحوث والدراسات والتجارب الحديثة والمعاصرة لتحدد نموذجا للتخطيط المدرسي الاستراتيجي الذي يهتم ببناء فكر التلميذ على أساس الكفاءة في مجال التعلم، وتوجيه الأداء التربوي النوعي والكمي قصد الارتقاء بكفاية وفعالية النظم التعليمية التي تراعي خصوصيات أطوار النظام التربوي في الجزائر لاسيما الطور الابتدائي والأساسي والثانوي، فالطابع الاستراتيجي الذي تحمله طريقة التدريس بالكفاءات ينفتح على تلك النظرة المستقبلية لعلاقة المعلم بالمتعلم وكيفية التواصل التربوي مع طريقته في التفكير والاستيعاب

[13]- المرجع نفسه، ص8-9

والتفاعل مع أساليب التدريس الحديثة لاسيما ما يخدم حواسه الباطنة كالذاكرة والذكاء والتخيل والإدراك، وقدرته على مواجهة المواقف الطارئة، ومن ثم فان تحقيق الأهداف البيداغوجية لتلك الطريقة يتطلب تخطيطا استراتيجيا في النظريات والمداخل والنماذج يحتفظ بغاياته العقلانية في تحقيق الكفاية التربوية في مجال ممارسة الفعل التعليمي داخل المؤسسات التربوية، وضمن هذا المعنى انفرد الفيلسوف الفرنسي "ادغارموران" بنظرته حول جوهر التربية المستقبلية، «...فكان تعبيره عن ذلك بأنه ينبغي تضمين تربية المستقبل سبع معارف ضرورية يمكن تلخيصها في: التعرف على ماهية المعرفة لمنع النزوع إلى الوهم والخطأ، وإصلاح الفكر من أجل تنظيم المعارف وبالتالي تمثل مشكلات العالم بشكل أفضل، وتضمين التربية تعليماً أوليا وكونيا يختص بالشرط الإنساني، والتركيز على مستجدات العصر الكوكبي(العولمي)، والاعتراف بالهوية الأرضية، ومواجهة اللايقينيات في العلوم الفيزيائية والبيولوجية والتاريخية، وتطوير الفهم إصلاحا للعقليات ووسيلة وغاية للتواصل الإنساني، وبناء علاقة المراقبة المتبادلة بين المجتمع والأفراد عن طريق الديمقراطية، وتحقيق البشرية لجماعة كوكبية»[14]، فطبيعة هذه لمعارف قد تختزل كيفية ممارسة طريقة التدريس بشكل عقلاني يساعد على تحقيق أهداف مجتمع المعرفة الذي ينفتح على جميع التوازنات والتحولات للفكر العولمي والحداثي الذي يعتبر مبادئ التربية الحديثة تقوم على ترقية وتطوير الجانب الأنواري والإنتاجي والتجديدي في إنسان مجتمع المعرفة الذي يصرف كل اتجاهاته وميوله الإبداعية إلى صناعة الأفكار والمعارف والقيم التي تزود هذا الكائن بأساليب اللغة التكنولوجية كأداة من أدوات عصرنة ورقمنة قطاع التعليم، وانفتاح كل مناهجه وبرامجه التعليمية وطرقه التدريسية على اقتصاد المعرفة قصد مواجهة تلك التحديات والرهانات التي تفرضها قضايا التربية والتعليم من جهة وثقافة التنمية من جهة أخرى، لذلك فقد انصرف الفكر التربوي المعاصر إلى اختزال تجربة التعلم في نطاقها النموذجي النسقي ضمن عملية الإشراف والتوجيه والتقويم والتكوين والإرشاد لتحسين الأداء عند المعلمين والأخصائيين التربويين، والتحصيل الدراسي عند المتمدرسين، لذلك ارتبطت طريقة التدريس «...بالأسلوب

[14]- أفراح محمد محسن عقلان التخطيط الاستراتيجي لتطوير الإشراف التربوي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009، ص143

المباشر للمعلم ذي التفكير المجرد والخبرة والالتزام العاليين، ويتضمن السلوك الإشرافي: الإنصات، والتأمل، والتوضيح، والتشجيع، وحل المشكلات، ولنموذج الإشراف التطوري ثلاث مرحل: اختيار أفضل المداخل الإشرافية المناسبة للمعلم على نضج المستوى التطوري والالتزام والخبرة، وتطبيق المدخل الإشرافي الذي تم اختياره، ورعاية نمو المهارات التعليمية للمعلم في أثناء النمو التدريجي لمسؤولية اختياره واتخاذ قراراته...»[15] ومن هذا المنظور يظهر البعد الخلاق أثناء الممارسة التربوية لطريقة التدريس بالكفاءات التي تعزز لغة التواصل البيداغوجي مع أهداف العملية التعليمية وما تحققه من كفاية تربوية نلمسه أثناء التحصيل الدراسي الذي يجمع بين عملية التفكير وتنميته لاسيما القدرات الإبداعية، وبين قيم المنظومة المجتمعية في عملية التواصل الاجتماعي، فكل ما تنتهي إليه هذه العلاقة في المجال التربوي التعليمي هو نتاج عملية التفكير والتعلم التي تهدف إلى بناء الفكر والسلوك من خلال ما يقدم التلميذ في المدرسة من برامج تعليمية تثقيفية، على غرار أهمية الكتاب المدرسي في ترسيخ قيم الوعي والانتماء، ودور المعلم في التدريس والتوجيه وصناعة الوعي المستقبلي الذي يحقق له التكيف والملاءمة مع ذاته وعالمه الخارجي، فطريقة التدريس بالكفاءات تساعد التلميذ على امتلاك أدوات الإبداع من خلال تزويده بنموذج للتفكير يهيئه للاندماج في كل مراحل التعلم والنمو وسائر العمليات المعرفية التي تمكنه من إنتاج المعارف والمعلومات واكتساب الخبرات والمهارات التي ترتقي بنشاطه الذهني الذي يتوافق مع تلك الحاجات والدوافع الشخصية، والاهتمامات والميول التربوية التي تجعل من العملية التعليمية تابعة لمقتضيات الكفاءة وانطباعاتها الحاصلة على مستوى التفكير والسلوك معا، وهكذا قد تبدو فعالية هذه الطريقة الحديثة في التدريس حجر الأساس لإنشاء المعاني وتكوين المفاهيم والاستدلالات والانتقال بالتفكير من الاستنتاج إلى الاستقراء كسمات أساسية لبناء التفكير المنطقي عند التلاميذ وهذا ما يعبر عن مهارات الجمع والتنظيم والإنتاج، والحفظ والتحليل والتقييم والنقد، ومن ثم قد تكون عملية الاستيعاب والتحصيل والتواصل التربوي مع المعلمين سهلة وبسيطة دون تعقيد، لذلك فان إستراتيجية الأداء التربوي داخل المؤسسات التعليمية تتحرك في نطاق توجيه التفكير الذي يمكن التلاميذ من التصور والتعبير عن مشكلاتهم وفهم المعاني والاستجابة للتعليمات والمثيرات، وهذا لإنتاج قيم اللغة والذكاء، «...فعمليات التفكير تبدأ لدى الأطفال آلية، ثم تتطور لتصبح واعية، ويستطيع الأطفال الربط بين المثيرات التي

[15]- المرجع نفسه، ص 157.

تصادفهم أثناء تفاعلهم مع بيئتهم فيصيبون ويخطئون ويستفيدون من أفعالهم الصائبة في حل مشكلاتهم بما تكون لديهم من تفكير ترابطي، ويوظفون هذه الروابط في التعامل مع مسائل مماثلة بطريقة منطقية وإذا جرى تطويرها فإنها ستقود إلى الإبداع»[16] فطبيعة هذا الأثر التربوي الذي يصاحب فعالية التدريس بواسطة الكفاءات قد يوفر للتلاميذ برنامجا لتنمية مهارات التفكير تساعدهم على التجديد والإبداع في جميع المستويات الدراسية، «...فالبحث حول أبعاد التفكير بقوته وديناميكيته ومرونته قد يكون أمل المستقبل الفعال في مجال التربية والتعليم، فتدريس التفكير له أثر إيجابي على المشكلات الدائمة المتعلقة بنجاح أو فشل المتعلم، وعلى إمكانية رفع مستوى تحصيل المتعلم وإكسابه القدرة على الفهم والتحليل وحل المشكلات...»[(17)]، ومن هذا المنظور فان تلك الإستراتيجية التربوية التي انتهجتها المدرسة الجزائرية قد استوعبت مسألة تنمية مهارات التفكير المعرفية، وانفتحت على الأساليب التعليمية الأكثر حداثة داخل المحيط المدرسي، فالتحصيل الدراسي الجيد يعكس مستويات نتائج التعلم، وطبيعة التفاعل مع تلك المناهج والبرامج التي تحدد طريقة الارتقاء والاختبار لعمليات الفهم والتفكير وكل ما هو مرتبط بمراحل الانجاز التربوي الذي ينفرد بسماته المعرفية والسلوكية، فمهارات الكفاءة تعبر عن صيغة التكوين الأكاديمي للمعلم المبدع الناجح، وعن طبيعة التفكير المنتج الذي يحمل تلك العناصر الإبداعية والناقدة في فكر التلاميذ، على غرار الموهوبين والأذكياء، فحركة التنوير في أبعادها التربوية والتعليمية جاءت لتبرز ملامح التطور الحضاري الذي حققه الإنسان من خلال تلك الأفكار والأساليب التي ربطت التكوين بطرق التدريس في مجال ممارسة العملية التعليمية وأثرها على تدريب عقول التلاميذ والزيادة من حدة ذكاءهم، وتنمية سرعة الإدراك الحسي، فكل مقولات الفكر التربوي المعاصر تجعل من التربية عملية تهذيب أخلاقي أكثر منها تدريب عقلي، لذلك حاول "جون لوك" أن يجسد هذا المعنى من خلال رؤيته التربوية الحديثة، في اعتقاده «...أنه من الواجب اكتساب العلم والمعرفة، ولكنه يجب أن يكون اكتسابها في المرتبة الثانية، وعلى سبيل التبعية لتكوين الصفات العظمى: ابحث عن شخص من الأشخاص يمكن أن يعرف كيف يبني أخلاقه

[16]- أماني غازي جرار إبداع التفكير بين البعد التربوي والفكر الخلاق، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2013، ص 53
[17]- المرجع نفسه، ص 77

ISSN : 2588-168x

بطريق مباشر، ضع هذا الشخص بين يديك بحيث تحتفظ بصفاء نفسه بقدر ما يستطيع، ثم ارع طيب أخلاقه وتعهدها واستأصل الميول الضارة واغرس في نفسه العادات الطيبة، هذا هو الأمر الرئيسي ومتى تم الوصول إلى ذلك كان من الممكن الوصول إلى المعرفة والعلم تبعا له، وفي رأيي أن هذا التعلم ينبغي أن يكون بأسلوب سهل وبطرائق ينبغي التفكير فيها»[18] فأبعاد هذه الرؤية التربوية لا تنفصل عن أهداف طريقة التدريس بالكفاءات التي تراعي جميع جوانب شخصية التلميذ لاسيما التدريب والتمرين للملكات الذهنية حتى يجيد التفكير، فكل عامل من عوامل النهوض بالتعليم في الجزائر مرتبط بتلك الأساليب والمناهج والطرائق التي كان لها أثرا سلبيا على عملية النمو المعرفي والتحصيل الدراسي، أين وجد التلاميذ صعوبة في التواصل مع نظام التعليم الأساسي بخلاف المتوسط، مثل طلاب الجامعة الجزائرية ووضعيتهم مع نظام ل م د بخلاف النظام الكلاسيكي، ومن ثم تسارعت وتيرة الإصلاحات التربوية لتجاوز هذه الأزمة وبناء منظومة تعليمية حديثة تراعي القيم الأخلاقية للتربية ومبادئ التكوين كما وكيفا، لذلك انصرف علم النفس التربوي والمعرفي إلى الاهتمام بنمو الطفل وكل المراحل التي تعزز التفاعل البيولوجي الاجتماعي في تطور ونشأة شخصيته، «...فللنمو مظهران رئيسيان هما: مظهر تكويني ويشمل النواحي العضوية البدنية أو الجسمية، ومظهر وظيفي، كما أن هناك نمو يتصل بالنواحي العقلية المعرفية، وهناك نمو يتصل بالنواحي الانفعالية، وتعمل هذه لنواحي في ترابط وانسجام وتوافق، وكوحدة متماسكة يؤثر كل منها في الآخر...»[19] وبذلك فان مراعاة طبيعة هذا النمو أثناء ممارسة العملية التربوية قد يساعد التلاميذ على التحصيل والتفوق الدراسي، وتجاوز كل المشكلات التعلمية التي تعيق الكيفية في استيعاب الدروس خاصة ما يصادفه تلاميذ الشعب العلمية في مادة الرياضيات والعلوم الفيزيائية والطبيعية، وتلاميذ الشعب الأدبية في مادة الفلسفة واللغة العربية، وتلاميذ اللغات الأجنبية في مادة الفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية، لهذا الغرض تظهر تجليات طريقة التدريس بالكفاءات من خلال التطوير الاستراتيجي لعملية التفكير وفق طبيعة الأهداف البيداغوجية المعاصرة التي تركز على ضرورة اختبار مهارات التلميذ وقدراته الإبداعية وملكاته

---

[18]- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، ط4، 1987، ص 139

[19]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان الطفل- دراسة في علم الاجتماع النفسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2000.
ص 18-19

ISSN : 2588-168x

المعرفية حتى يصل إلى مستويات المردود التربوي الجيد، لذلك فان حقيقة الأداء والإنتاج والتحصيل الدراسي عند التلاميذ هو بمثابة انعكاس مباشر لتطوير العملية التعليمية في الجزائر.

خاتمة:

إن قدرة الإنسان على التفكير والإنتاج والإبداع لا تخرج عن أبعاد العملية التربوية في مجال التعليم والتعلم، لذلك انصرفت المجتمعات الحديثة إلى ربط هذه الأبعاد بكل الأساليب الحداثية التي تعزز دور المدرسة، في بناء وعي تربوي ناضج وخلاق قد يؤسس لصناعة تلك النخب والكفاءات ضمن رهانات مجتمع المعرفة، وآفاق التنمية في مجال التعليم، ومن هذا المنظور فان الإستثمار في علم الأفكار هو حلقة من حلقات التجديد والتنوير التربوي الذي تنفرد به مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ومراكز التكوين الحديثة في الجزائر، لذلك فان وضع الخطط الإستراتيجية لتجديد مستويات النشاط المعرفي والتفكير الإنتاجي هو محور العملية التعليمية التي تزود كل التلاميذ ببرامج أكثر ملاءمة لمهاراتهم وقدراتهم العقلية، فالمجال التربوي الذي يحمل هذه الرؤية المعاصرة بإمكانه تصحيح مسار المدرسة الجزائرية في بناء فكر مبدع، وحل كل المشكلات والوضعيات المعرفية التي تستند إلى طرق تدريس حديثة تمكن التلميذ من التأقلم مع طبيعة الثورة التكنولوجية في مجال التربية والتعليم، لذلك فالتحصيل المعرفي لا يقتصر على تحسين المستوى الدراسي فقط، وإنما يشمل صناعة الكفاءة التي تنسجم مع الحقل المعرفي للبيداغوجيا المعاصرة وتنمية المعرفة، وتعلم التفكير الذي يختزل طبيعة الأداء والانجاز عند التلاميذ، فمظاهر التخلف والضعف الذي تشهده كل المؤسسات المسؤولة على إنتاج المعرفة وصناعة الكفاءات والنخب، يعود إلى عدم الاستثمار في النظريات والتجارب التربوية الحديثة لاسيما التكوين وتغيير المناهج والبرامج التعليمية وكل الطرق البيداغوجية التي تساهم في ترقية الأداء التربوي عند المعلم، وتحسين التحصيل الدراسي عند التلاميذ في جميع أطوار التعليم بالجزائر، فأثر التقويم والتقييم هو جزء لا يتجزأ من الخطاب البيداغوجي الموجه نحو بناء الذات أولا وإنتاج المعرفة ثانيا، ومن ثم لا يمكن تحقيق أهداف المدرسة الحديثة دون تحسين طرائق التدريس التي تهتم بالمردود التربوي للتلاميذ ضمن نموذج التلميذ الموهوب والفعال والمنتج والمبدع، كما يجب على كل المدرسين التحكم في طريقة التدريس بالكفاءات نظرية وممارسة، ومن هذا المنظور يمكن تداول أبعاد وأهداف هذه الطريقة كمشروع تربوي قد يحقق لنا ذلك التلميذ النموذجي مستقبلا، وتجعل

من إصلاح وتحديث النظام التربوي في الجزائر حتمية تفرضها التنمية والحداثة والعولمة على السواء، فالرسالة الحضارية التي يحملها قطاع التعليم تتحرك في حدود تحرير المجتمع الجزائري من السكون إلى الحركة، ومن الانغلاق إلى الانفتاح ، ومن التخلف إلى النهضة والتطور، وهي رسالة صاحبت قيم الحضارة الغربية على مستوى الثقافي، والاجتماعي والاقتصادي، لتنفرد رهانات التنمية داخل المجتمعات الحداثية المعاصرة بدور العملية التعليمية في تطوير المجتمع الذي ينطلق من إعادة إنتاج خطاب تربوي يبدأ بتحسين الأداء المدرسي ويكتمل في بناء قيم التفكير والسلوك التي تؤهل التلاميذ للمشاركة في جميع أدوار التنمية بمفهومها التربوي داخل الفضاء المدرسي وبمفهومها الاقتصادي داخل المجتمع، لذلك شكلت ثقافة الفكر التربوي المعاصر برنامجا يهتم بالمعلم والمتعلم معا خاصة من حيث العمل بالمقاربات البيداغوجية الحديثة التي تراعي خصوصيات الفعل الديداكتيكي الذي يقوم على التواصل والتفاعل مع أساليب طرق التدريس الحديثة التي تهتم بمستويات الإبداع والذكاء والنمو المعرفي السليم الذي يقتضي تكوينا أكاديميا عاليا للمعلم، ولغة التواصل التربوي الصحيح، ومقومات أخلاقية تجعل منه مربيا ومدرسا ناجحا، ومن ثم فإن غياب هذه المواصفات التي تربط التربية بالتكوين قد يحول ممارسة العملية التعليمية إلى أسلوب فارغ من كل قيم ومعاني وأهدف التربية الحديثة، لذلك فإن أثر الرسوب المدرسي، والعنف التربوي، والإدمان، وضعف التحصيل العلمي يمتد إلى أسباب هذا الغياب، أين تحاول المدرسة الجزائرية في ظل هذه الإصلاحات أن تواجه حقيقة هذا الخطر الذي يهدد المنظومة التربوية من خلال تعزيز رؤية مستقبلية وفلسفة تعليمية جديدة تستشرف الجوانب النظرية والعملية لمكونات النظام التربوي على مستوى بنيته التحتية والفوقية، والارتقاء بمنظومة القيم والأفكار التي تواكب كل المستجدات التعليمية خاصة المناهج والبرامج وطرق التدريس، وتكوين المعلمين، وفعالية ومردود التلاميذ، فكل منتوج دراسي جيد يحمل مؤشرا ايجابيا لتلك المدرسة الجزائرية الحديثة التي تستهدف الإنسان كمشروع لاقتصاد المعرفة، ومن ثم قد يتعزز هذا النموذج الاقتصادي بقيم التربية والتعليم التي تحمل سمات مجتمع النخب والكفاءات، ويؤسس لولادة مشروع مجتمعي يحقق كل آفاق وأهداف النظام التربوي في الجزائر.

قائمة المراجع:

1. محمد عصا طبيه طرق وأساليب التدريس الحديثة، دار حمورابي، عمان، الأردن، ط1. 2008
2. محمد عبد الخالق مدبولي، الشرعية والعقلانية في التربية- دراسات نقدية في الفكر والممارسة- تقديم: حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999.

3. محمد شرقي، مقاربات بيداغوجية من تفكير التعلم إلى تعلم التفكير- دراسة سوسيوبيداغوجية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2010.

4. عبد النبي رجواني مجالات وآفاق تكوين الأساتذة، منهجيات التدريس، (مؤلف جماعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008.

5. مارتن كارنوي، العولمة وإصلاح التعليم، ما يجب أن يعرفه المخططون؟، ترجمة: محمد جمال نوير، العربي، القاهرة، ط1، 2003.

6. سارنوف أ.مدنيك، هوارد ر.يوليو، ألبراث ف.لوفتس التعلم، ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1973.

7. محمود أبو زيد إبراهيم، أسماء محمود غانم، المناهج الدراسية- تخطيطها وتطويرها-، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1993.

8. عبد الحق منصف (2007) رهانات البيداغوجيا المعاصرة –دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2007.

9. أفراح محمد محسن عقلان التخطيط الاستراتيجي لتطوير الإشراف التربوي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009.

10.أماني غازي جرار إبداع التفكير بين البعد التربوي والفكر الخلاق، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2013.

11. عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، ط4، 1987.

12.حسين عبد الحميد أحمد رشوان الطفل- دراسة في علم الاجتماع النفسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2000.

مجلة الأزمنة الحديثة (2011)، الرباط، العدد: 3-4